الخطبة الأولى

الله نور السموات والأرض

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله حتى يرضى، والحمد لله إذا رضي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 122].

1 – قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 24/ 35]، جميع النور الذي في السموات، وفي الأرض، وفي هذه الدنيا، وفي الملكوت كله، وفي الدنيا، وفي الآخرة، كل هذا من نوره سبحانه وتعالى.

2 – والنور نوران:

1– **نور مخلوق**: وهو ما يوجد في الدنيا وفي الآخرة وفي الجنة، ونور الشمس والقمر، ونور الكهرباء ونور السوائل ونور الكيمياء، فهذا كله يدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 1]، وكلمة (جعل) بمعنى أنشأ وأبدع سبحانه وتعالى.

2- **ونور غير مخلوق**: وهو من صفاته سبحانه وتعالى، فنور وجهه سبحانه، ونور ذاته سبحانه، وكل النور الذي له سبحانه، كما وصف هو سبحانه في كتابه، وكما وصفه به رسوله الكريم ﷺ فهو صفة لله جل وعلا، وقال عليه الصلاة والسلام عندما سئل: هل رأيت ربك؟ فقال ﷺ: «نورٌ أنى أراه!» أخرجه مسلم (178) من حديث أبي ذر.

3 - نور الإسلام: الإسلام نور، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: 39/ 22]، جاءت هذه الآية بعد الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:39/ 21].

فكما أن الله سبحانه ينزل الماء من السماء فيتفتح به الزرع ألوانًا مختلفة، كذلك ينزل الله الآيات التي تتفتح لها قلوب المؤمنين، فمن المؤمنين من يتفاعل مع هذا النور الإلهي والتشريع الإلهي بطرق مختلفة.

فمن المؤمنين من يجاهد، ومنهم من يتبرع، ومنهم من يكون داعية، ومنهم ومنهم... فيكونون ألوانًا مختلفة، كلها جميلة، وكلها في سبيل الله، وكلها نتيجة النور الرباني، تمامًا كما يتفتح الزرع ألوانًا مختلفة بالعطاء الرباني وبالماء المنزل بأمر الله، جاء في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَتْ مِنْها طائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْها وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصابَ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ» أخرجه البخاري (79) من حديث أبي موسى، ومسلم (2282) من حديث أبي موسى.

فالذي يشرح الله صدره للإسلام فيتعلمه ويطبقه فهو على هداية وهو على نور من الله سبحانه، فهو كالأرض التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير.

فنور الإسلام يتجلى في العقيدة وفي التفكير، فيتجلى في القلب، فيكون هادئاً مطمئناً واثقاً، ويتجلى في المعاملات، فيكون صادقاً واضحاً سليماً، لا غش ولا خداع ولا لف ولا دوران، يخاف الله ويرجو رحمته.

4- نور الهداية: فما جاءنا من الله نور، فتشريع الله نور، لأنه تشريع كامل جاء من علام الغيوب، من خالق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 5/ 15].

فلو كان عندك جهاز مصنوع من شركة معينة، هل تعتمد على نظام قطع أو نظام تشغيل أو نظام صيانة لشركة أخرى؟ أم أن الشركة الصانعة هي المخولة لإعطائك المعلومات اللازمة عما صنعَتهُ؟ الجواب: إنها هي المخولة، ولله المثل الأعلى ونعوذ بالله من التشبيه أو التمثيل، ولكن الله سبحانه هو خالق الإنسان، وهو العالم بما يصلحه ويفيده، وهو بهذا أقر التشريع الذي يَسْعَدُ به الإنسان، وأي تشريع آخر سيكون ناقصاً أو خاطئاً، قال تعالى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق: 65/ 11].

فتشريع الله هو النور، وهدى الله هو النور، وما سوى ذلك هو الظلام الداكن، الظلام الدامس، انظر إلى قوله تعالى كيف شبه الضلال بالظلام.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: 24/ 39]، وقال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 24/ 40].

5- نور القرآن: القرآن نور، كيف لا وهو كلام الله سبحانه وتعالى؟ والقرآن هو شرع الله، وهو كلام الله المتعبد بتلاوته، ومن عند الله، وهو شفاء ورحمة، وهو نور على نور، قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [التغابن: 64/ 8].

6 - التقوى والإيمان والعمل الصالح يورث النور، فالتقوى هي: فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور، فمن سار على المنهج أورثه الله نوراً، لأن الإيمان نور وهداية، والعمل الصالح نور، لأنه نتيجة الهداية، فكل هذه الأشياء تورث نوراً، وذلك مصداقٌ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد: 57/ 28].

7 - فالانصياع لأوامر الله واجتناب محارمه نور، لأنه انصياع طوعي ورضاً طوعيٌ، وهو نتيجة الهداية، ونتيجة محبة الله سبحانه وتعالى، ونتيجة إرادة العبد في مرضاة ربه، قال تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: 5/ 16].

8- ونور العمل الصالح ليس في الدنيا فقط، وإنما هو في الآخرة، نور العمل الصالح في الدنيا يكون بمداومة العبد على العمل الصالح وثناء الناس عليه وسلامته من البدع والضلالات، انظر إلى سيرة الصحابة، وإلى سيرة العلماء العاملين، كيف خلّد الله ذِكرَهم ونفعهم وينفعهم بما قدموه، أليس هذا نور العمل الصالح الدنيوي؟ ألم يقل ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ» أخرجه مسلم (1017) من حديث جرير.

وكذلك نور العمل الصالح في الآخرة، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الحديد: 57/ 12].

هو الإيمان ونور الإسلام ونور الهداية، قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: (يعطى المؤمنون نوراً يوم القيامة على قدر أعمالهم حين يمرون على الصراط، فمنهم نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً مَن نوره في إبهامه يَتَّقِدُ مرة وينطفئ مرة) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، وأعظِم لي نوراً كما علمنا رسول الله ﷺ في الدعاء، أخرج بعضه البخاري (5957) من حديث، وأخرج مسلم بعضه (763) من حديث ابن عباس.

9 – نور يوم القيامة: نور العدل، نور القضاء، نور الحق، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: 39/ 69-70].

10 – نور رحمة الله على المؤمنين: نور فَضْلِه سبحانه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 33/ 43].

(يصلي عليكم) أي: يرحمكم، و(صلاة الملائكة) أي: دعاء الملائكة لنا بالمغفرة والرحمة والقبول؛ كي نخرج من ظلمات الجحيم إلى نور الجنة، فمن رحمته سبحانه ومن فضله وكرمه أن يُنعم علينا برحمته ويجعل ملائكته تدعوا لنا، سبحانه وتعالى ما أكرمه وما أحلمه!

فيا عباد الله اتقوا الله، واتبعوا شريعته، واتبعوا سنة نبيكم الكريم، واتركوا البدع والضلالات، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: 57/ 9]، فالله رؤوف ورحيم بنا عندما نلتزم بما

أنزله على رسوله الكريم من الآيات البينات، لأنها نور من الله تعالى، وهي شرعه وتشريعه، وهي كلامه، وهي الإسلام، وهي ما رضيه الله لنا، وهو تام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا هو العلم الصحيح، وهذه هي الدعوة الحقَّة وأعوذ بالله مما حذرنا منه رسول الله ﷺ حيث يقول: «إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُهُ منَ النَّاسِ، ولَكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العُلماءِ، حتَّى إذا لم يبقَ عالِمٌ اتَّخذَ النَّاسُ رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئلوا فأفتوا بغيرِ عِلمٍ فضلُّوا وأضلُّوا» أخرجه البخاري (100) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

11- وحتى نحصل على النور يوم القيامة أوصانا الله تعالى بخصلة عظيمة وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: 66/ 8]، فالإيمان الصحيح والعمل الصحيح الموافق لسنته عليه الصلاة والسلام، والتوبة الصادقة الخالصة لله سبحانه وتعالى، والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، كل هذه الخصال تورث نوراً يوم القيامة. اللهم أتمم لنا نورنا واغفر لنا وارحمنا وتقبَّل منا.

- لطيفة: غورث بن الحارث، أخذ سيف رسول الله ﷺ وقال له: من يمنعك مني؟ قال رسول الله ﷺ: «الله»، فسقط السيف من يد غورث بن الحارث، فأخذه رسول الله ﷺ وقال له: «من يمنعك مني؟» فقال غورث بن الحارث: لا أحد، فصفح عنه رسول الله ﷺ فدخل الإسلام، أخرجه البخاري (2753) من حديث جابر بن عبد الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم